مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:06 العدد: 02 جـــــوان (2022) ص 249 / 256

النموذج التساندي في الخطاب التأويلي التقابلي لدى "محمّد بازي".

The contrastive Hermeneutics in Muhammad Bazi's discourse.

عادل صياد *	يوسف سعداني
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس(الجزائر).	جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس(الجزائر).
siad.adel@yahoo.com	mhmdsaad548@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2021/11/09
تاريخ القبول: 2022/03/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ البلاغة الجديدة.
- ✓ التأويل.
- ✓ التساند.

الملخص:

خص "محمّد بازي" التأويلية العربية بنموذجه التساندي راصدا له مؤلفا وسمه بـــ: "التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النّصوص والخطابات" يمكن أن يستشف القارئ من خلال عنوانه فكرة المشروع القائمة على مرتكزات محورية تعنى بالتأويل والتساند، فمن عنوان الكتاب تبدو غاية المشروع متجهة صوب تأويلية عربية تتوسل نموذجا تساندیا في فهم نصوصها وخطاباتها، وقدمت المقاربة التساندية -في ظل التعاقد التأويلي ومن خلال مجموعة من الحالات الإدراكية والحدسية والتأويلية لمختارات قرائية تُمثِّل للمقترحات النظرية- التقابل في حد ذاته عملية تساندية بين المتقابلات المختلفة التي تتضافر فيما بينها في سبيل حصول الفهم والتأويل.
إنّ التساند والتقابل في خطابات "بازي" يتبادلان المركزية، فإذ يبدو التقابل في سياق التساند تمثيلا هاما يؤكد على الاختيار التساندي ويجري المتساندات إجراء تقابليا، يظهر التساند –فيما بعد- في سياق التقابل بدوره تمثيلا للاختيار التقابلي تجري فيه المتقابلات إجراء تساندیا.

Article info

Received 09/ 11/2021
Accepted 21/03/2021

Keywords:
- ✓ *New rhetorical method.*
- ✓ *Hermeneutic .*
- ✓ *Contrastive approach*

Abstract :

This research study aims to shed light on the hermeneutic discourse on its relationship with the contrastive approach us a new rhetorical method wish employed in interpretations of a text; speech or symbolic expressions

* المرسل المؤلف

. مقدمة:

خص "محمّد بازي" التأويلية العربية بنموذجه التساندي راصدا له مؤلفا وسمه بـ: "التأولية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النّصوص والخطابات" يمكن أن يستشف القارئ من خلال عنوانه فكرة المشروع القائمة على مرتكزات محورية تعنى بالتأويل والتساند، فمن عنوان الكتاب تبدو غاية المشروع متجهة صوب تأويلية عربية تتوسل نموذجا تساندیا في فهم نصوصها وخطاباتها، يخرج بذلك من العنوان تأويليات أخرى غير العربية، فهي وإن حضرت في الكتاب لا تحضر بوصفها غايات بل بوصفها وسائل وروافد للتأولية العربية، ويخرج منه النّماذج غير التساندية التي تعنى بنمط واحد من القراءة لا تتعدّى آلياته، على غرار المناهج النّسقية المرتهنة للنّص والنّص فقط، ويدخل ضمن العنوان عناية النّموذج بالنّصوص والخطابات عامّة فلا يتحدد نصّ بعينه أو خطاب بذاته في مرامي عناية هذا النّموذج.

تحاول هذه الورقة الإجابة على إشكالية جوهرية مناطها التساؤل عن إسهامات "محمّد بازي" في البلاغة الجديدة وكيف تبلور نموذجه التساندي في الخطاب التأويلي؟

تفترض الورقة أنّ مشاريع "محمّد بازي" تعرف خطّية تطورية تتبادل فيها مصطلحاته واختياراته مركزية الاهتمام في صورة تدرجية تنحو بالخطاب من التعميم صوب التخصيص ومن الإجراء إلى النّظرية.

تهدف الورقة إلى محاولة فهم النّموذج التساندي في خطابات "محمّد بازي" التأولية من خلال استقراء هذا النّموذج في كتاباته وفي بعض ما كتب حوله.

2.الفهم اللغوي للتساند:

جاء مصطلح التساند في المعاجم العربية مشتقا من الجذر اللغوي "سند" وقد اختزن الجذر "سند" في طيّاته جملة من المعاني؛ كالتعاضد والطّول، والصعود، والمرتفع، والقوة، والدّهر، فجاء في "أساس البلاغة" مثلا في معاني التساند: « **تساند إلى الحائط وسوند المريض، وقال: ساندوني. ونزلنا في سند الجبل والوادي وهو مرتفع من الأرض في قبله، والجمع أسناد. وناقة سناد: طويلة القوائم. وساند الشاعر سناداً. ولا أفعله آخر المسند وهو الدهر.**»، (الزمخشري، 1998، ج 1، ص 477) وكما يلاحظ، من خلال هذا التعريف، فقد عبّر مصطلح "التساند" وما تجاور وتشارك معه في الجذر اللغوي "سند" عن معنى المعاضدة التي يرتفع بها الشيء عمّا هو عليه بشيء آخر يعضّده ويسنده.

ارتبط لفظ التساند وما يجاوره ويشاركه في الجذر اللغوي ببعض المعاني المجازية أيضا فقد جاء في "أساس البلاغة" أن « **من المجاز: أسندت إليه أمري، و أقبل عليه الذئبان متساندين: متعاضدين. يقال: غزا فلان وفلان متساندين، وخرجوا متساندين على رايات شتى كل على حاله. وهو سندي ومستندي، وسيد سند. وحديث مسند، والأسانيد قوائم الحديث، وهو حديث قويّ السند. وكان فلان في مشربة فأسندت إليه أي صعدت. وناقة مساندة القرا: قويته كأنما سوند بعضه إلى بعض.**» (الزمخشري، 1998، ج 1، ص 477) وكما يلاحظ من خلال هذه المعاني المجازية فعادة ما يكون "التساند" منوطا بالتعاضد الذي تحصل به القوة.

يظهر أن "بازي" من خلال اختياره للفظ التساند يهدف إلى مشروع نقدي تتضافر فيه الجهود والمناهج وتتعاضد في فهم النّصوص والخطابات، فهو مثلا لا يكتفي في مشروعه هذا بالنّسق دون السياق، ولا بالمنجز العربي دون الغربي، ولا بمدخل قرائي دون آخر، وهذا ما نلاحظه في مشروعه التأويلي العربي الذي اختاره مدخلا عاما ثمّ حقل اشتغال، ومادة تمثيل، لنمذوجه التساندي في فهم النّصوص والخطابات.

3.التلقي النّقدي العربي لمشروع التساند:

لفت مشروع "بازي" البلاغي/ النّقدي – في شقّه التساندي خاصّة والذي رصد له كتاب "التأويلية العربية"- انتباه المشتغلين في السّاحة النّقدية، ما جعل عددا من النّصوص القرائية تتناسل احتفاء بالمشروع، وكشفا عن أبعاده النظرية والتطبيقية « **من**

خلال إبرازسنده النّظري وجهازه المفهومي، ومظاهربلاغته و آفاق توسيعه بتعميق تنزيله على مزيد من الخطابات.» (أسيكار وآخرون، 2008، ص 3) وتنوعت القراءات التي تناولت المشروع في شقّه التساندي وفي صوره الأخرى ما بين الدّراسات النظرية التي اضطلعت « **بوضع البلاغة التأويلية القائمة على التساند والتقابل في إطارها النظري، وذلك من خلال قراءات متباينة المداخل (...) قراءات تترجّح بين المتابعة المسكونة بعشق مضامين الكتب (...) وأسلوبها اللغوي وتخريجياتها التحليلية بعيدا عن المحاباة والمجاملة، وبين المساءلة النقدية المحكومة بوعي نقدي يرمي إلى وضع مقدّمات هذه البلاغة التأويلية ونتائجها على محك النقد والتمحيص.»** (أسيكار وآخرون، 2008، ص 4) والدّراسات التنزيلية/ التطبيقية التي جاءت « **لتكشف -عمليا- عن إمكانات التأويل التقابلي وحدودها، بشكل يُبرز مدى تشرّب أصحابها وتمثلهم العميق لروح هذه الآلية التأويلية.»** (أسيكار وآخرون، 2008، ص 4) واعتبر الباحث والأكاديمي المغربي "أحمد بوحسن" أنّ كتب "بازي" - لاسيما أوّلها "التأويلية العربية نحو نموذج تساندي لقراءة الخطابات والنّصوص"- « **استحقت التكريم والاعتراف بقيمتها العلمية (...) ويرجع هذا التقدير والتكريم إلى ما حظيت به هذه الكتب من تقدير أكاديمي وتنويه خاص بها، وإلى ما حظي به أولها من إجماع لجنة الدراسات الأدبية والفنية على منحه جائزة المغرب للكتاب لسنة 2010.»** (أسيكار وآخرون، 2008، ص 7) وهي علامات تؤكد جميعها على جدارة المشروع -إن في صورته التساندية أو في صوره الأخرى التي ضمّنها كتبه تباعا- واستحقاقه القراءة والمتابعة والنّقد.

إنّ الإضاءة على مشروع "بازي" في سياق التمهيد له من خلال قرّاء آخرين، تبدو ضرورية لأجل وضع المشروع في إطاره الصحيح، لاسيما إذا كان قُرّاءُ "بازي" قرّاءً نوعين لهم حضورهم في السّاحة البلاغية والنّقدية اشتغالا وتنظيرا، نستحضر في هذا المقام مثلا مقول"محمّد العمري" مشيدا بكتاب "التأويلية العربية" يقول: « **قدم الكِتاب معرفة واسعة في الموضوع الذي تناوله، ومهارة كبيرة في قراءة النصوص وتأويلها، مستجمعا العتاد المناسب لبناء منهج في التأويل سماه «النموذج التساندي». يقوم هذا النموذج على الحوار بين مكونات النص الذاتية وبين محيطه النصوصي والمعرفي، أي كل ما يتصل به ويتناص معه، مما سبقه أو جاء بعده. وقد ركز الباحث على آلية التقابل باعتبارها آلية تَعرُّفية تأويلية، و اقترح مجموعة من الاجتهادات والترسيمات لبيان فاعليتها. قُدمت هذه المعرفة الغنية الواسعة في لغة تجمع بين القوة الاصطلاحية، في موقعها، والتصوير الشعري البياني، في موقعه.»** (آسيكار وآخرون، 2008، ص 16).

نلمس من خلال المقول إشادة "العمري" بالمعرفة الواسعة التي قدّمها كتاب "التأولية العربية" والمهارة الكبيرة في قراءة النصوص وتأويلها، والاستجماع المناسب لعتاد البناء، نتج عن ذلك كلّه المنهج الموسوم بـ"النموذج التساندي" القائم على الحوار الدّاخلي بين مكوّنات النّص الذاتية والحوار الخارجي بين النّص ومحيطه النصوصي والمعرفي، يشير "العمري" في مقوله أيضا إلى تركيز "بازي" على آلية التقابل باعتبارها آلية تعرُّفية تأويلية، ويمكن أن نلمس من هذه الإشارة أنّ الفكرة التقابلية التي رصد لها "بازي" فيما بعد مؤلفات مستقلة كانت فكرة مركزية في المشروع التساندي، يشير "العمري" أيضا إلى اقتراحات "بازي" التي رسّمها اجتهادا لبيان كفاءة وفاعلية المشروع، كما يشير إلى لغة الكتاب التي جمعت ما بين القوة الاصطلاحية والتصويرات الشاعرية البيانية حين يقتضيها المقام.

يضيء مقول "العمري" على مشروع "بازي" التساندي من عدة جوانب إذ تكشف الإشادة بالمعرفة الواسعة والمهارة الكبيرة في قراءة النصوص وتأويلها عن جدوى وجدارة المشروع واستحقاقه القراءة، يؤكد على ذلك عنوان المقال نفسه والذي جاء المقول تحته: "قراءة أولية في كتاب "التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات"" فالقراءة الأولية التي يقدّمها "العمري" للكتاب، تعني ضمنا إمكان تناسل قراءات أخرى، إنْ من القارئ نفسه، أو من قرّاء آخرين، يكشف المقول أيضا عن عتاد مناسب منسجم صالح لأن يتبلور في نموذج تأويلي هو الذي أطلق عليه "بازي": "النموذج التساندي"، وأنّ هذا النموذج

التساندي قائم على نوعين من الحوار؛ أحدهما داخلي، والآخر خارجي، وأنّ إحدى مرتكزاته التقابل، وهي نقاط جميعها (الحوار الدّاخلي، الحوار الخارجي، مركزية التقابل) رُصدت لها في هذه الورقة جزئيات لمعالجتها نتبيّنها في حينها.

عطفا على قراءة "العمري" لـ"بازي" وإشادته بكتابه "التأويلية العربية"، قرأ مشاريعه نقّاد آخرون قراءات متنوعة تناولت المشروع من جوانب متعددة، فقرأه الباحث في التأويليات الحديثة "مزايط مولود هيد الله" مثلا من خلال تقديم تعريف موجز « **بالجهاز النظري الذي يتحكم في المشروع العلمي للأستاذ بازي لإقامة تأويلية عربية على أسس تساندية تقابلية.» (آسيكاروآخرون، 2008، ص 19)** وكذا من خلال « **تقديم بعض الأسئلة حول المشروع.**» (آسيكار وآخرون، 2008، ص 19) تمركزت أساسا حول عنوان الكتاب ومصطلحي؛ التساند، والتقابل.

حاول الباحث في النّقد والبلاغة "سعيد العوادي" توسيع آفاق اشتغال مشروع التأويل التقابلي تحت عنوان: "بلاغة التأويل والتقابل البديعي محاولة في التوسيع" بغية فتح النّقاش « **في قسم من أقسام التقابل الأكثر تعميرا في البلاغة العربية القديمة، وبالضبط علم البديع وهو ما سميناه "التقابل البديعي" المؤطر للطباق والمقابلة، من خلال مده بروح تأويلية جديدة توسع دائرة اشتغاله، وتمنحه دفئا يعيد له الحركة بدل بقائه جامدا في أحد الأقبية المقرورة للبلاغة العربية القديمة. مع الإشارة إلى أن توسيع هذا النمط التقابلي إن لم ينخرط في صميم عملية التأويل، فهو على الأقل يشكل عدة تتقوى بها ذخيرة المؤوِّل.**» (آسيكار وآخرون، 2008، ص 23) فنحى بالمشروع صوب البلاغة القديمة في شقها البديعي، مدللا من خلال هذه المقاربة على كفاءة مشروع "بازي" من جهة، وعلى انفتاح البلاغة العربية القديمة وقابليتها للتحديث المستمر الذي يطرأ على المناهج.

أمّا الباحث في علم السرّد والتأويل "عبد العاطي الزّياني" فقد اعتبر قراءته لـ"بازي" رحلة نقدية ممتعة كما عبّر عن ذلك عنوان مقاله الموسوم بـ"رحلة نقدية ممتعة في كتاب "التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات"" وعلى اعتبار "التأويلية العربية" كتاب "بازي" الأول فقد قرأه "الزياني" في ضوء استهلال مقول الجاحظ: « **وينبغي لمن كتب كتابا ألا يكتبه إلّا على أنّ النّاس كلّهم له أعداء، وكلّهم عالم بالأمور، وكلّهم متفرّغ له، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا، ولا يرضى بالرأي الفطير، فإنّ لابتداء الكتاب فتنة وعجبا، فإذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة، وتراجعت الأخلاط، وعادت النفس و افرة، أعاد النّظر فيه، فيتوقّف عند فصوله توقّف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب**» (الجاحظ، 1424، ج 1، ص ص 60، 61) مبررا نزوعه لهذا التأطير بمقول "الجاحظ" أن « **مرد ذلك إلى أن الثقافة العربية الإسلامية ظلت تحت سلطة أنساق الكتاب الأول وتصورات سدنته حول الإنسان واللغة والعلاقة بالمعنى، ولعمري إن المؤلّف السامق بيننا قد أطال المكوث طويلا أمام هذا النص، ولعله أناخ ركائبه، وإلا فكيف نفسر هذه الرحابة العلمية والعمق المنهجي و اتساع الأفق النقدي والكفاية التفسيرية والدقة المصطلحية حصرا واشتغالا وتأطيرا و اقتراحا وتنظيرا وتمحيصا، التي تكاد تكون هوية الكتاب التي بو أته محلا عليا وهو المحل الذي تو افرت له حدوسه المنهجية التي ستطول، ومساراته القادرة على استدعاء الأسئلة الاستتيقية والفلسفية.**» (آسيكار وآخرون، 2008، ص 48) إن "بازي" حسب "الزياني" وعلى اعتبار ما حمله مشروعه من رحابة علمية، وعمق منهجي، واتساع أفق نقدي، وكفاية تفسيرية، ودقة مصطلحية في الحصر والاشتغال والتأطير والاقتراح والتنظير والتمحيص، فهو متساوق مع ما اختزنته الثّقافة العربية الإسلامية التي ظلت تحت سلطة أنساق الكتاب الأول، معتبرا أنّ صاحب الكتاب "بازي" يستحضر هذا الإرث الثقافي العربي الإسلامي إذ يخرج كتابه الأول فهو « **يمد بنسب رفيع إلى حقل الفكر الذي يعيد طرح سؤال الفلسفة التأويلية في تماسها الخصب مع الأدب، وعلوم القرآن، والتصوف، وسائر علوم الآلة من مداخلها المنهجية، لأجل تملك خطاب تأويلي يساهم في تحليل الخطاب، بما هو عدة منهجية لها آليات اشتغال و اقتراحات شاملة لاختراق النصوص، وسائر الخطاطات التي تشغل بال الباحثين وطلاب العلم.**» (آسيكار وآخرون، 2008، ص 48) فثقافة "بازي" حسب "الزياني" واطّلاعه على منافذ شتّى منها هي من أسعفه في حبك مشروعه وإمداده بالعدّة النظرية وفتحه على آفاق اشتغال متعددة.

قدّم الباحث في التواصل وتحليل الخطاب "إبراهيم أسيكار" دراسة لكتاب "التأويلية العربية" تحت عنوان: "تأويلية التساند والتقابل" تناول فيها آليتي "التساند" و"التقابل" معرّجا على عتبات المؤلف فالاشتغال التساندي والتقابلي في التأولية العربية من خلال شقيّه النظري والتطبيقي (آسيكار وآخرون، 2008).

قدّم الباحث في علم النّص وتحليل الخطاب "أحمد العياشي" دراسة للمنظومة الاصطلاحية والمرجعية الفكرية لدى "بازي" وسمها بـ "الغنى الاصطلاحي والتنوع المرجعي في كتاب "التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات""، تناول فيها التنوع المرجعي الذي أطّر كتاب "بازي" والغنى الاصطلاحي الذي اتسم به مشروعه التساندي متعرضا للغة الكتاب المتسمة بالوضوح، والتصويرية، والتفاعل مع الخطابات والنصوص الأخرى (آسيكار وآخرون، 2008).

قدم الباحث في النقد الأدبي "محمّد الكميم" تحت عنوان: قراءة في كتاب "تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي" عرضا للكتاب تنواله فيه شكلا ومضمونا، مشيرا لمفهوم التأويل التقابلي، منتقدا على مشاريع "بازي" تركيزها على « **إنتاج الجوانب الدلالية والوظائف الإقناعية والحجاجية ووسائل التأثير على المتلقي.**» (آسيكار وآخرون، 2008، ص 75).

تناول الباحث في علم السرد "الحسين اخليفة" التأويل التقابلي من حيث البنيات والوظائف، قارئا العتبات في كتاب "تقابلات النص وبلاغة الخطاب" عارضا للبنيات التقابلية من حيث منطق الاشتغال، ومن حيث استراتجية التأويل (آسيكار وآخرون، 2008).

تناول الباحث في النقد والبلاغة "السعيد أهرو" "معالم المنهاج النقدي في كتاب "نظرية التأويل التقابلي"" معتبرا بأن "بازي" واطأ في كتابه هذا "نظرية التأويل التقابلي" بين الموضوع ومنهج يسير على وفقه من جنسه حيث يرى "السعيد أهرو" أنّ بازي ارتأى لكتابه « **إيقاعه على منهاج التأويل التقابلي بقصد التنظير له والتصديق عليه منهاجا تقابليا وهذا التدبير من أحرز التدابير وأحراها أن تصادف من الصواب سعة كثيرة.**» (آسيكار وآخرون، 2008، ص ص 91، 92).ف"بازي" حسب "أهرو" استثمر منهجه التقابل نفسه في بناء تفاصيل كتابه.

يظهر أن "بازي" ومن خلال اختياره للفظ التساند يهدف إلى مشروع نقدي تتضافر فيه الجهود والمناهج وتتعاضد في فهم النّصوص والخطابات، فهو مثلا لا يكتفي في مشروعه هذا بالنّسق دون السياق، ولا بالمنجز العربي دون الغربي، وهذا ما نلاحظه في "التأويلية العربية" التي اختارها مدخلا عاما لمشروعه التأويلي، وإذ يختار "بازي" مصطلح "التساند" عنوانا لمشروعه التأويلي فهو يحيل ضمنا إلى جملة من الأفكار المستبطنة المختزنة في طيّاته، وكأنّه يريد القول بأن النموذج المُرام قراءته على وفق المشروع التأويلي التساندي لابد من أن تتضافر في سبيل إنجاز هذه القراءة والوصول إليها، مداخل وجهود معرفية وآليات متعددة تتساند فيما بينها لأجل حصول التأويل السليم.

تكشف القراءات المتعدة لمشاريع "بازي" عن جوانب المركزية والأهمية فيها، وإذ نعرض في هذه الورقة لمشروع "بازي" في شقّه التساندي، فإن مكمن الأهمية فيه مناطه؛ مداخل التساند ثمّ تمركز التساند في صورة التقابل نستعرضها على وفق ما يلي:

4.مرتكزات النّموذج التساندي:

1.4 مداخل التساند:

يكشف الاطلاع على مشروع "بازي" التساندي المتضمّن في كتابه "التأويلية العربية" عن مداخل للتساند يستثمرها محلل الخطاب على وفق هذا النموذج عن نوعين أساسيين من المداخل هما:

1.1.4 التساند الدّاخلي (تساند من خلال النسق):

يمكن تسميته بالتساند النسقي وهو تساند معزول عن السياق تعمل على تحقيقه الآليات اللسانية معزولة عن السياق، يسميه بازي "الدوائر الصغرى، ويقترح مجموعة من المداخل على غرار "المدخل اللغوي"، إذ يعتبر "بازي" « **المادّة اللغوية أساس القراءة ومدخلها المركزي، فالنّص نسيج لغوي، خيطه مفردات اللغة التي نتواصل بها**» (بازي، 2015، ص 218).

اللغة هي الحامل الأساس للمعاني غير أن مفردات هذه اللغة « **لا يتساوى فيها القرّاء إدراكا وفهما لغر ابتها**» (بازي، 2015، ص ص 218، 219) لذلك « **فإن التوقف عند مدلولها محطّة عبورية لا بدّ منها في كل قراءة تأويلية تروم بناء المعنى وتحقيق الفهم. وقارئ الشروح الشعرية، باعتبارها فعلا معرفيا تأويليا، يجد أن الاهتمام باللغة من ثو ابت القراءة، حيث تتم المراوحة بين المعنى النّصي (المساقي) للكلمة ومعناها المعجمي. والتخريج الدلالي الأكثر ملاءمة و انسجاما هو الذي تدعمه أدلة وشواهد سياقية خارجية**» (بازي، 2015، ص 219) فيكون المدخل اللغوي في مشروع "بازي" التساندي أحد المداخل الأساسية التي لا غنى عنها في حصول الفهم وتحقيق المعنى.

يلي "المدخلَ اللغوي" "المدخلُ الاشتقاقي"، الذي يراه "بازي" مفيدا وضروريا في تحقيق الآلية التساندية وحصول العملية التأويلية، حيث « **تقدّم المادة الاشتقاقية، في هذا المستوى التأويلي، الدلالات الجزئية المتولدة من الجذر اللغوي (...) وهو يساعد على الوقوف على وجوه الأبنية والصيّغ ومعرفة أصولها وموادها الأصلية**» (بازي، 2015، ص 222) وبالتالي يتساند المدخل الاشتقاقي مع سابقه اللغوي في سبيل حصول التأويل السليم.

يعقبهما "المدخل البنائي النحوي"حيث يتمّ في هذا المدخل رصد « **رصد المفردات من حيث إعرابها، والجمل في علاقاتها المختلفة. وهو عنصر تأويلي بارز الحضور في الثقافة العربية القديمة؛ حيث يتوقف المؤوّلون عند إعراب الكلمات، لأن معناها تابع لحالاتها الإعر ابية.**» (بازي، 2015، ص 226) فلا تتوقف الآلية التساندية عند المدخل اللغوي والاشتقاقي فقط بل تتعدّاهما إلى البنى النحوية.

ومن ثمّ أخيرا إلى "البنيات البلاغية":والتي يعتبرها "بازي" معيارا مهم من معايير الأدبية إذ أنّ « **مما يدخل في أدبية نص ما، وجود تراكيب بلاغية وأساليب بيانية، وقنوات فنية لتأدية المعنى عبر المجازات، والاستعارات والتشبيهات، وكل الظواهر البلاغية الدّاخلة تحت العلوم الثلاث: البيان والمعاني والبديع.**» (بازي، 2015، ص 229) فالبنيات البلاغية إذا في مشروع "بازي" التساندي مدخل من المداخل التي يعوّل عليها في قراءة النّصوص والخطابات لأنها « **أجزاء نصية يقوم عليها الفهم وبناء المعنى، وكثيرا ما يتم الوقوف عندها لإيراد الاحتمالات الممكنة، فهي إلى جو انب مواد اللغة والإعراب ثابت نصي بارزلتشكّل أفعال التأويلات. ولذلك اشترط الشرّاح والمفسرون والعلماء بالقرآن معرفة علوم البلاغة فيمن يقدم على التأويل.**» (بازي، 2015، ص 229) فلا يكون التأويل كاملا إلا بحصول المؤول على نصيب وافر من البلاغة وعلومها.

2.1.4 التساند الخارجي (تساند من خلال السياق):

يمكن تسميته بالتساند السياقي وهو تساند منفتح على السياق تعمل على تحقيقه الآليات الخارج لسانية اللسانية، يسميه بازي "الدوائر الكبرى"، ويقترح مجموعة من المداخل على غرار "المناسبات ومقامات الخطاب" التي يعرّفها "بازي" بأنّها: « **مجموع الإشارات المختلفة التي يضمّنها الشارح خطابه، لتحديد ارتباط النّص بظرف محدد أو بشخص أو أشخاص، والأسباب التي كانت وراء تشكّل النّص.**» (بازي، 2015، ص 232) ويظهر أنّ "بازي" من خلالها يعود صراحة بمنهجه النّقدي إلى حالة سياقية، يتساند فيها السياق مع النّسق في سبيل حصول التأويل والإفهام.

تتبعها النّصوص الموازية ففضلا عن المناسبات ومقامات الخطاب يضيف "بازي" مدخلا تساندي خارجيا آخر هو النّصوص الموازية وهي « **كل الأشكال النصية الغائبة التي تستدعى لملء بياضات القراءة وفراغاتها، بل إن القراءة نفسها إذا لم تتسلح بالأدوات الكافية لاستيفاء كل الجو انب والوصول إلى إشباع تأويلي، فإنها تظهر ناقصة وتحتاج إلى مكملات**» (بازي، 2015، ص 234) ولا تكتمل القراءة حسب "بازي" إلا باستيفاء البياضات وتسييجها بالنصوص الموازية.

يتبعهما بعد ذلك "الشواهد" فهي مدخل خارجي ضروري إضافة للمداخل السابقة إذ يعدّ « **الإتيان بالشّاهد من النّص القرآني أو من الشعر، خطة قرائية تتأكد بها دلالة هذه اللفظة على هذا المعنى أو ذاك. وهي ملمح قوي لانفتاح التأويل على قنوات خارجية لها وظائف استدلالية كبرى في لحظات الحرج التأويلي، ومآزق التخريجات الدلالية وما يرتبط بها من ترجيحات**» (بازي، 2015، ص 235) وكأن الشاهد في خطّة "بازي" القرائية عاصم مهم من حصول الخلل وفوضى التأويلات، لما يحصل به – الشاهد- من ترجيح واستدلال.

يعقب "الشّاهد" "المادة الخبرية" فهي مدخل آخر من المداخل الخارجية والتي يمكن أن تتساند فيما بينها في حصول التأويل والفهم، ويعرّفها "بازي" بأنها: « **الأخبار المختلفة التي يوردها الشارح، حول الشاعر أو حول قضية مضمنة في النّص أو في شرحه لعادات وتقاليد مشار إليها في قصيدة بشكل مختزل، واستحضارها يمثّل ملمحا قويا للمزاوجة بين القراءة البنائية، عبر سجلات السياق الخارجي. وهو أمر متحقق كذلك في خطاب التفسير، عبر إيراد الأخبار التاريخية المرتبطة بزمن نزول الوحي**» (بازي، 2015، ص 238) وإذا كان "بازي" ها هنا يربطها بالقصيدة أو خطاب التفسير لأنهما الأكثر ارتباطا بالمادة الخبرية المصاحبة، فإن ذلك لا يمنع خطابات أخرى غير الشعر والتفسير من التسيج بسياجات خبرية تضفي على المعنى فهما إضافيا ويعتبر "بازي" أنّ « **لهذه المواد الخبرية داخل خطاب الشرح وظيفتان هامتان: وظيفة ملء بياضات النص موضوع التأويل، وتوسيع المختزل والموجز. ووظيفة توجيه القارئ نحو مقتضيات أحوال الخطاب ومقاصد معينة فيه، ما كان ليدركها داخل احتمالات متعددة دون معرفة الخبر المقدّم أو الإشارة التاريخية**» (بازي، 2015، ص 238) فمن خلال ملء البياضات وتوجيه القارئ يحصل مزيد من الإفهام واتضاح المعنى.

ثمّ مدخل أخير مناطه "الاختلافات النّحوية وميولات المؤِّل"، إذ يعتبر "بازي" أنّ من الطبيعي أثناء العملية التأويلية ظهور « **الميول المذهبية أو الفكرية أو المنهجية أو المعرفية للمؤول في ثنايا خطابه.**» (بازي، 2015، ص 240) فالمؤول لا يستطيع الانعزال والحياد مهما حرص عن سياقه واختياراته.

يبرز التساند إذا -والذي اختاره "بازي" عنوانا لمنهجه التأويلي- من خلال المداخل المركوزة فيه مصطلحا "التساند" مكثّفا يحمل في طيّاته جملة ما يمكن أن يفيد في حصول التأويل السليم المتكامل والشامل الذي لا يكتفي حسبه بما هو داخل النّسق من حالات لغوية واشتقاقية ونحوية وبلاغية فحسب، بل يتعدّاه إلى موازيات أخرى عديدة من المداخل المتساندة.

2.4 تبلور المشروع التساندي في التقابل:

يبدو بأنّ العبور المنهجي للرؤية التقابلية في خطابات "بازي" وليد اجتهادات قبلية عنيت بالفكرة "التساندية"، والتي كانت بمثابة اللبنة الأولى والأساسية لهذا المنظور، فقد جاء التساند التأويلي أولا تبادلا للعون « **والمساندة في عملية بلوغ المعنى بين العناصر المعتمدة في الفهم؛ فاللغة مثلا تسند التخريج النحوي أو البلاغي، والاشتقاق يسند اللغة والنحو، والنصوص الموازية تسند الدلالة، والمثل يدعم المعنى.... إنّه تساند يتأسس لحظة الاشتغال بالتأويل بين الدوائر النّصية والدوائر السياقية. وهو تساند تتحقق فيه الملاءمة والانسجام بين العناصر والمستويات.**» (بازي، 2015، ص 384) ثمّ جاءت الرؤية التقابلية - « **تعزيزا للتصور التساندي (...) وتنفيذا للقوة الاقتراحية.**» (بازي، 2015، ص 247) - صورة يتكثّف فيها عمل التساند في استراتجية ناظمة تؤكد « **على خاصية انفتاح بوابات العبور بين مستويات القراءة الداخلية والخارجية، بما يدعم التخريجات الدلالية واستقصاءات المعنى واستكشافه، أو تفصيله والتوسع فيه، عبر الشروحات والاستطرادات وتمطيط المتن، أو تحويله أو تكثيفه واختزاله.**» (بازي، 2015، ص 247) عمدت المقاربة التساندية من ثمّ إلى « **المقابلة بين المواد المرجعية التي ترتبط بها النصوص – بشكل من الأشكال- وحركة التأويل الذهنية والتذوقية؛ ومقابلة ذلك عند الضرورة.**» (بازي، 2015، ص 247) ومن ثمّ فحسب "بازي" قدمت المقاربة التساندية -في ظل التعاقد التأويلي ومن خلال مجموعة من الحالات الإدراكية والحدسية

والتأويلية لمختارات قرائية تُمثِّل للمقترحات النظرية- التقابل في حد ذاته عملية تساندية بين المتقابلات المختلفة التي تتضافر فيما بينها في سبيل حصول الفهم والتأويل.

4. خاتمة:

إنّ التساند والتقابل في خطابات "بازي" يتبادلان المركزية، فإذ يبدو التقابل في سياق التساند تمثيلا هاما يؤكد على الاختيار التساندي ويجري المتساندات إجراء تقابليا، يظهر التساند –فيما بعد- في سياق التقابل بدوره تمثيلا للاختيار التقابلي تجري فيه المتقابلات إجراء تساندیا.

غير أنّ الترتيب الزمني لمؤلفات "بازي" يكشف التطور الحاصل في مشروعه/ مشاريعه، حيث قد ظهر كتاب "التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنّصوص" في طبعته الأولى للتداول سابقا على المؤلفات التي رصدها للنّموذج التقابلي؛ "تقابلات النّص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي"، (بازي، 2010.)، وكذا "نظرية التأويل التقابلي مقدّمات لمعرفة بديلة بالنّص والخطاب"، (بازي، 2013.) وحتّى إذا كان كتابا "التأولية العربية" و"تقابلات النّص وبلاغة الخطاب"، كلاهما قد صدرت طبعتهما الأولى في العام نفسه (2010)، فقد وجدنا كتاب تقابلات النّص وبلاغة الخطاب" يستدعي كتاب "التأولية العربية" ويتمثله في إحالاته، وقائمته الببليوغرافية، ما يعني أو على الأقل يفترض تأخره عليه، ومن ثمّ يظهر أنّ الرؤية التساندية في تفكير "بازي" كانت سابقة على رديفتها التقابلية، وقد جاء التقابل أساسا في سياق التساند أولا برنامجا مساعدا على تأكيد الرؤى التساندية، ثمّ ربما ما لبثت أن تبلورت الفكرة التقابلية فصارت أصلا ومركزا دعمها النّموذج التساندي فيما بعد بما يتحويه من إمكانات تقابلية وانصهر بذلك في برنامجها التقابلي.

5. قائمة المراجع:

- إبراهيم أسيكار وآخرون، (2018)، النموذج التأويلي التقابلي معالم التأصيل ومستويات التنزيل دراسات محكمة في أعمال الكاتب والباحث الأكاديمي محمّد بازي، المغرب، مؤسسة مقاربات للنّشر بدعم من وزارة الثقافة.
- بازي، محمّد بازي، (2013)، نظرية التأويل التقابلي مقدّمات لمعرفة بديلة بالنّص والخطاب، المغرب/ الجزائر/ لبنان، دار الإيمان/ منشورات الاختلاف/ منشورات ضفاف.
- بازي، محمّد، (2010)، تقابلات النّص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي، بيروت/ الجزائر، الدار العربية للعلم ناشرون/ منشورات الاختلاف.
- بازي، محمّد، (2015)، التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، تونس/ المغرب/ الجزائر/ لبنان، كلمة للنشر والتوزيع/ دار الإيمان/ منشورات الاختلاف/ منشورات ضفاف..
- الجاحظ، عمرو بن بحر، (1424)، الحيوان، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الزمخشري، جار الله، (د ت)، أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية.